

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سورة الممتحنة مدنية

روي أن مولاة لابي عمرو بن صيفي بن هاشم يقال لها: سارة أتت رسول الله ﷺ بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها: «أمسلمة جئت؟» قالت: لا. قال: «أمهاجرة جئت؟» قالت: لا. قال: «فما جاء بك؟» قالت: كنتم الأهل والموالي والعشيرة، وقد ذهب المولى. تعني: قتلوا يوم بدر، فاحتجت حاجة شديدة، فحث عليها بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وزوئوها فاتاها حاطب بن ابي بلتعة وأعطاهم عشرة ننانير وكساها برداً واستحملها كتاباً إلى أهل مكة نسخته: من حاطب بن ابي بلتعة إلى أهل مكة، اعلما أن رسول الله ﷺ يريدكم فخذوا حذرکم، فخرجت سارة ونزل جبريل بالخبر. فبعث رسول الله ﷺ علياً وعماراً وعمر وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وكانوا فرساناً وقال: «انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى أهل مكة فخذوه منها وخلوها، فإن أبت فاضربوا عنقها». فادركوها، فجدت وحلفت، فهموا بالرجوع. فقال علي رضي الله عنه: والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله وسل سيفه وقال: أخرجي الكتاب أو تضعي رأسك. فأخرجته من عقاص شعرها<sup>(5)</sup>. وروي أن رسول الله ﷺ آمن جميع الناس يوم الفتح إلا أربعة هي أحدهم<sup>(6)</sup>. فاستحضر رسول الله حاطباً وقال: «ما حملك عليه؟» فقال: يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم، ولكني كنت امراً ملصقاً في قريش، وروي: عزيزاً فيهم أي: غريباً. ولم اكن من أنفسهم وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون اهلهم واموالهم غيري فخشيت على اهلي فأريت أن اتخذ عندهم بدءاً، وقد علمت أن الله تعالى ينزل عليهم بأسه وأن كتابي لا يغني عنهم شيئاً. فصدقه وقبل عذره. فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق. فقال: «وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم». ففاضت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم فنزلت.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ثَلُوثًا إِنَّهُمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَضْتُمْ جِهَنَّمَ فِي سَبِيلِ وَآيَاتِهِ مَرْبَابًا تُشْرُونَ

هذا تمثيل وتخويل كما مر في قوله تعالى<sup>(1)</sup>: ﴿إِنَّا عرضنا الامانة﴾ وقد دل عليه قوله: ﴿وتلك الامثال نضربها للناس﴾. والغرض توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن وتبدير قوارعه وزواجه. وقرئ: مصدماً على الإدغام ﴿وتلك الامثال﴾ إشارة إلى هذا المثل وإلى أمثاله في مواضع من التنزيل.

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْقِيَامُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾

﴿الغيب﴾ المعنوم ﴿والشهادة﴾ الموجود المدرك كأنه يشاهده. وقيل: ما غاب عن العباد وما شاهدوه. وقيل: السر والعلانية، وقيل: الدنيا والآخرة.

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَلَمَّكَ الْتَدْوُسُ أَلَسَلَّمَ الْمُؤْمِنُ الْمُؤْمِنِ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣٨﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلَّاقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٩﴾

﴿القدوس﴾ بالضم والفتح، وقد قرئ بهما البليغ في النزاهة عما يستقبح ونظيره السبوح. وفي تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح. و﴿السلام﴾ بمعنى السلامة ومنه دار السلام، وسلام عليكم وصف به مبالغة في وصف كونه سليماً من النقائص، أو في إعطائه السلام. و﴿والمؤمن﴾ واهب الأمن. وقرئ بفتح الميم بمعنى المؤمن به، على حذف الجار كما تقول في قوم موسى من قوله تعالى: ﴿واختار موسى قومه﴾<sup>(2)</sup> المختارون بلفظ صفة السبعين. و﴿المهيمن﴾ الرقيب على كل شيء الحافظ له. مفعيل من الأمن إلا أن همزته قلبت هاء. و﴿الجبار﴾ القاهر الذي جبر خلقه على ما اراد أي: أجبره. و﴿المتكبر﴾ البليغ الكبرياء والعظمة. وقيل: المتكبر عن ظلم عباده. و﴿الخالق﴾ المقدر لما يوجد. و﴿البارئ﴾ المميز بعضه من بعض بالأشكال المختلفة. و﴿المصور﴾ الممثل وعن حاطب بن ابي بلتعة أنه قرأ: البارئ المصور بفتح الواو ونصب الراء أي: الذي يبرأ المصور أي: يميز ما يصوره بتفاوت الهيئات. وقرأ ابن مسعود: وما في الأرض عن ابي هريرة رضي الله عنه: سألت حبيبي ﷺ عن اسم الله الأعظم فقال: «عليك بأخر الحشر فأكثر قرأته»<sup>(3)</sup>. فأعدت عليه، فأعاد علي. فأعدت عليه فأعاد علي. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»<sup>(4)</sup>.

(5) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير من سورة الممتحنة باب: ﴿لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ (الحديث رقم: 4890)، وأخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أهل بدر (الحديث رقم: 161 - 2494).

(6) رواه الدارقطني في السنن في كتاب: الحج، باب: المواقيت (الحديث رقم: 292).

(1) قال أحمد: وهذا مما تقدم إنكاري عليه فيه، أفلا كان يتأبى باب الأية، حيث سمي الله هذا مثلاً، ولم يقل: وتلك الخيالات نضربها للناس، اللهمنا الله حسن الأب معه، والله الموفق.

(2) سورة الاعراف، الآية: 155.

(3) رواه الثعلبي والواحدي في تفسيرهما والزبيعي 442/3.

(4) رواه الثعلبي في تفسيره والزبيعي 443/3.

باب الشرط مجرى المضارع في علم الإعراب فإن فيه نكتة. كأنه قيل: وودوا قبل كل شيء كفركم وارتدناكم يعني: أنهم يريدون أن يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعاً من قتل الانفس وتمزيق الاعراض ورتكم كفاراً. ورتكم كفاراً اسبق المضار عندهم وأولها لعلمهم أن الدين أعمز عليكم من أرواحكم؛ لأنكم بذالون لها نونه، والعدو أهم شيء عنده أن يقصد أعمز شيء عند صاحبه.

لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْعَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهِ يَمَّا تَمَلُّونَ بَعِيرٌ ﴿٤٧﴾.

﴿لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾ أي: قرباتكم ﴿وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ الذي توالون الكفار من أجلهم وتتقربون إليهم محاماة عليهم. ثم قال: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْعَلُ بَيْنَكُمْ﴾ وبين أقراركم وأولادكم ﴿يَوْمَ يَفْرُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾. الآية. فما لكم ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفر منكم غداً خطأ رأيهم في موالة الكفار بما يرجع إلى حال من والوه أولاً ثم بما يرجع إلى حال من اقتضى تلك الموالة ثانياً ليريهما أن ما أقدموا عليه من أي جهة نظرت فيه وجدته باطلاً. قرئ: يفصل ويفصل على البناء للمفعول ويفصل ويفصل على البناء للفاعل. وهو الله عز وجل. ونفصل ونفصل بالنون.

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُوكُمْ وَمَا نَبُذُوكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَرِهْنَا لَكُمْ أَسْئَارَكُمْ وَمِنَ الْبُذُورَةِ وَالنَّسَاءِ أَلْبَانًا حَتَّى تَضْمُرُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعَزِّزْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٩﴾.

وقرئ: أسوة وأسوة وهو اسم المؤتسى به. أي: كان فيهم مذهب حسن مرضي بأن يؤتسى به ويتبع أثره. وهو قولهم لكفار قومهم: ما قالوا حيث كاشفوههم بالعداوة وقشروا لهم العصا وأظهروا البغضاء والمقت وصرحوا بأن سبب عداوتهم وبغضائهم ليس إلا كفرهم بالله، وما دام هذا السبب قائماً كانت العداوة قائمة، حتى إن أزالوه وأمنوا بالله وحده انقلبت العداوة موالة والبغضاء محبة والمقت مقة، فافصحوا عن محض الإخلاص. ومعنى ﴿كفرونا بكم﴾ وبما تعبدون من نون الله أننا لا نعتد بشأنكم ولا بشأن آلهتكم وما أنتم عننا على شيء.

فإن قُلْتُ: مم استثنى قوله: ﴿إلا قول إبراهيم﴾؟ قُلْتُ: من قوله: ﴿أسوة حسنة﴾ لأنه أراد بالأسوة الحسنة قولهم: الذي حق عليهم أن يأتسوا به ويخونونه سنة يستنون بها.

فإن قُلْتُ: فإن كان قوله: ﴿لاستغفرن لك﴾ مستثنى من القول الذي هو أسوة حسنة فمال بال قوله: ﴿وما أملك لك من الله من شيء﴾ وهو غير حقيق بالاستثناء. الا ترى إلى قوله: ﴿قل فمن يملك من الله شيئاً﴾. قُلْتُ: أراد استثناء

إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أنفيتهم وما أعلمتكم ومن يفعله بكم فقد سأل سوء التخييل ﴿٤٧﴾.

عدى اتخذ إلى مفعوليه وهما: ﴿عدوي﴾ ﴿أولياء﴾ والعدو فعول من عدا كعفو من عفا، ولكونه على زنة المصدر أوقع على الجمع إيقاعه على الواحد.

فإن قُلْتُ: ﴿تلقون﴾ بم يتعلق؟ قُلْتُ: يجوز أن يتعلق بلا تتخونوا حالاً من ضميره وبأولياء صفة له، ويجوز أن يكون استثناءً.

فإن قُلْتُ: إذا جعلته صفة لأولياء وقد جرى على غير من هو له فأين الضمير البارز وهو قولك: تلقون إليهم أنتم بالمودة؛ قُلْتُ: ذلك إنما اشتروطه في الأسماء دون الأفعال. لو قيل: أولياء ملقين إليهم بالمودة على الوصف لما كان بد من الضمير البارز والإلقاء عبارة عن إيصال المودة والإفضاء بها إليهم. يقال: ألقى إليه خراشي صدره، وأفضى إليه بقشوره. والباء في ﴿بالمودة﴾ إما زائدة مؤكدة للتعدي مثلها في: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾. وإما ثابتة على أن مفعول تلقون محنوف معناه: تلقون إليهم أخبار رسول الله بسبب المودة التي بينكم وبينهم. وكذلك قوله: تسرون إليهم بالمودة. أي: تفضون إليهم بموتكم سرا، أو تسرون إليهم أسرار رسول الله بسبب المودة.

فإن قُلْتُ: ﴿وقد كفروا﴾ حال مماذا؟ قُلْتُ: إما من ﴿ولا تتخذوا﴾ وإما من ﴿تلقون﴾ أي: لا تتولواهم أو توالونهم وهذه حالهم. و﴿يخرجون﴾ استثناء كالتفسير لكفرهم وعوتهم أو حال من كفروا و﴿أن تؤمنوا﴾ تعليل ليخرجون أي: يخرجونكم لإيمانكم. و﴿إن كنتم خرجتم﴾ متعلق بلا تتخذوا. يعني: لا تتولوا أعدائي إن كنتم أوليائي. وقول النحويين في مثله هو شرط جوابه محنوف لدلالة ما قبله عليه. و﴿تسرون﴾ استثناء ومعناه: أي طائل لكم في أسراركم وقد علمتم أن الإخفاء والإعلان سيان في علمي لا تفاوت بينهما. وأنا مطلع رسولي على ما تسرون. و﴿ومن يفعله﴾ ومن يفعل هذا الإسرار فقد أخطأ طريق الحق والصواب. وقرأ الجحدري: لما جاءكم أي: كفروا لأجل ما جاءكم. بمعنى: أن ما كان يجب أن يكون سبب إيمانهم جعلوه سبباً لكفرهم.

إِنْ يَتَّقُواكُمْ يَكْفُرُوا لَكُمْ أَعْدَاءٌ وَسَيَحْمِلُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِأَشْرِهِمْ رُودًا لَوْ تَكَذَّرُونَ ﴿٤٧﴾.

﴿إن يتقوكم﴾ إن يظفروا بكم ويتمكنوا منكم. ﴿يكونوا لكم أعداء﴾ خالصي العداوة ولا يكونوا لكم أولياء كما أنتم ﴿ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء﴾ بالقتال والشتم وتمنوا لو ترتبون عن بينكم فإن مواد أمثالهم ومناصحتهم خطأ عظيم منكم ومغالطة لانفسكم. ونحوه قوله تعالى: ﴿لا يألونكم خبالاً﴾.

فإن قُلْتُ: كيف أورد جواب الشرط مضارعاً مثله ثم قال: ﴿وودوا﴾ بلفظ الماضي؟ قُلْتُ: الماضي وإن كان يجري في

لَا يَهْتَكِرُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ تَمَّ بِعَيْتِلُوكُمْ فِي الَّذِينَ وَكَّرَ بِحُرُوكُمْ بَيْنَ يَدَيْكُمْ  
 أَنْ تَرَوْهُمْ وَيَقُولُوا لَوْلَا إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَهْتَكِرُ اللَّهُ  
 عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي الَّذِينَ وَأَخْرَجْتُمْ بَيْنَ يَدَيْكُمْ وَأَطْرَقُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ  
 تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٩﴾.

﴿أَنْ تَبْرُوهُمْ﴾ بدل من ﴿الذين لم يقاتلوكم﴾. وكذلك  
 ﴿أَنْ تَوَلَّوهُمْ﴾ من ﴿الذين قاتلوكم﴾ والمعنى: لا ينهاكم  
 عن مبرة هؤلاء وإنما ينهاكم عن تولي هؤلاء، وهذا أيضاً  
 رحمة لهم لتشدهم وجدهم في العداوة متقدمة لرحمته  
 بتيسير إسلام قومهم حيث رخص لهم في صلة من لم  
 يجاهر منهم بقتال المؤمنين وإخراجهم من ديارهم. وقيل:  
 أراد بهم خزاعة. وكانوا صالحوا رسول الله ﷺ على أن  
 لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه. وعن مجاهد: هم الذين آمنوا  
 بمكة ولم يهاجروا. وقيل: هم النساء والصبيان. وقيل:  
 قدمت على أسماء بنت أبي بكر أمها قتيلة بنت عبد العزى  
 وهي مشركة بهدايا فلم تقبلها ولم تأن لها في الدخول  
 فنزلت، فأمرها رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم  
 أن تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن إليها<sup>(2)</sup>. وعن  
 قتادة: نسختها آية القتال ﴿وتقسطوا إليهم﴾ وتقضوا  
 إليهم بالقسط ولا تظلموهم. وناهيك بتوصية الله المؤمنين  
 أن يستعملوا القسط مع المشركين به ويتحاموا ظلمهم،  
 مترجمة عن حال مسلم يجترى على ظم أخيه المسلم.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ  
 أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا يَحْرِضُهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَ مِنْ جِلِّ قَوْمٍ  
 وَلَا هُمْ يُحِلُّونَ لَهُنَّ وَرَأُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا  
 مَاتَ مُؤْمِنَاتٌ مِنْهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُفَّارِ وَرَبُّنَا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَسْنَا بِمُتَّبِعِيكُمْ  
 أَنْفَقُوا بِكُلِّ حَكْمٍ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَنْصُرُ اللَّهُ عَالِمُ حِكْمِهِ ﴿١٠﴾ وَإِنْ فَانَكَرْتُمُوهُنَّ  
 مِنْ أَرْزَاقِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَمَا يَقْتُلَنَّ أَتَاؤُ الْذَّبِّ ذَهَبَتْ أَرْزَاقُهُمْ وَإِلَّا مَا  
 أَنْفَقُوا وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾.

﴿إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ سمان مؤمنات لتصديقهن  
 بالسننهن ونطقهن بكلمة الشهادة ولم يظهر منهن ما ينافي  
 ذلك، أو لانهن مشارفات لثبات إيمانهن بالامتحان.  
 ﴿فامتحنوهن﴾ فابتلوهن بالحلف والنظر في الأمارات  
 ليغلب على ظنونكم صدق إيمانهن. وكان رسول الله ﷺ  
 يقول للممتحنة: «يا الله الذي لا إله إلا هو ما خرجت من  
 بغض زوج، بالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض، بالله  
 ما خرجت التماس دنيا، بالله ما خرجت إلا حباً لله  
 ورسوله»<sup>(3)</sup>. ﴿الله أعلم بإيمانهن﴾ منكم لأنكم لا تسيبون  
 فيه علماً تطمئن معه نفوسكم وإن استخلفتموهن ورزتم  
 أحوالهن وعند الله حقيقة العلم به ﴿فإن علمتموهن

جملة قوله لأبيه والقصد إلى موعد الاستغفار له وما بعده  
 مبني عليه وتابع له. كانه قال: أنا استغفر لك وما في طائفتي  
 إلا الاستغفار.

فإن قلت: بم اتصل قوله: ﴿ربنا عليك توكلنا﴾؟ قلت:  
 بما قبل الاستثناء وهو من جملة الأسوة الحسنة، ويجوز أن  
 يكون المعنى قولوا: ﴿ربنا﴾ أمراً من الله تعالى للمؤمنين  
 بأن يقولوه، وتعليماً منه لهم تمييزاً لما وصاهم به من قطع  
 العلائق بينهم وبين الكفار، والانتساء بإبراهيم وقومه في  
 البراءة منهم، وتنبهها على الإنابة إلى الله والاستعاذة به من  
 فتنة أهل الكفر والاستغفار مما فرط منهم. وقرئ: براء  
 كشركاء، وبراء كظراف، وبراء على إبدال الضم من الكسر،  
 كرخال ورياب، وبراء على الوصف بالمصدر. والبراء والبراءة  
 كالظماء والظماء. ثم كرز الحث على الانتساء بإبراهيم  
 وقومه تقريراً وتأكيداً عليهم ولذلك جاء به مصدرًا بالقسم  
 لأنه الغاية في التأكيد.

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أَنزُلٌ حَسَنٌ لِيَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَرَبَّ  
 يَزُولُ فِئَ أَنْ اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْكَلِيمُ ﴿٦﴾.

وأبدى عن قوله: ﴿لكم﴾ قوله: ﴿لمن كان يرجو الله  
 واليوم الآخر﴾ وعقبه بقوله: ﴿ومن يتول فإن الله هو  
 الغني الحميد﴾ فلم يترك نوعاً من التأكيد إلا جاء به ولما  
 نزلت هذه الآيات تشدد المؤمنون في عداوة آبائهم وأبنائهم  
 وجميع أقربائهم من المشركين ومقاطعتهم. فلما رأى الله  
 عز وجل منهم الجد والصبر على الوجد الشديد وطول  
 التمني للمسبب الذي يبيع لهم الموالاة والمواصلة رحمهم،  
 فوعدهم تيسير ما تمنوه فلما يسر فتح مكة ظفرهم الله  
 بامنيته فاسلم قومهم وتم بينهم من الحجاب والتصافي ما  
 تم. وقيل: تزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة فلانت عند ذلك  
 عريكة بني سفيان واسترخت شكيمته في العداوة. وكانت  
 أم حبيبة قد أسلمت وهاجرت مع زوجها عبد الله بن أبي  
 جحش لى الحبشة فتنصر وأرادها على النصرانية فأبت،  
 وصبرت على دينها ومات زوجها. فبعث رسول الله ﷺ إلى  
 النجاشي فخطبها عليه وساق عنه إليها مهرها أربعمئة  
 دينار. وبلغ ذلك أباهما فقال: ذلك الفحل لا يقدر إنفه<sup>(1)</sup>.

سَيِّئٌ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَبَادِرَ وَرَبُّ  
 وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾

﴿وعسى﴾ وعد من الله على عادات الملوك حيث  
 يقولون في بعض الحوائج: عسى أو لعل. فلا تبقى شبهة  
 للمحتاج في تمام ذلك، أو قصد به إطماع المؤمنين والله  
 قدير عنى تقلاب القلوب وتغيير الأحوال وتسهيل أسباب  
 المودة. ﴿والله غفور رحيم﴾ لمن أسلم من المشركين.

(1) أخرجه أبو داود في كتاب: النكاح، باب: في الولي (الحديث رقم: 1086).

رقم: 2620) وأخرجه الحاكم في المستدرک 485/2، وأحمد في  
 المسند 347/6.

(2) أخرجه البخاري في كتاب: الهبة، باب: الهبة للمشركين (الحديث = (3) أخرجه الزيلعي 459/3 عن الطبري والبخاري.

أجورهنّ أي: مهورهنّ؛ لأن المهر أجر البضع ولا يخلو إما أن يراد بهاماً كان يدفع إليهنّ ليدفعنه إلى أزواجهنّ، فيشترط في إباحة تزويجهنّ تقديم أدائه، وإما أن يراد أن ذلك إذا دفع إليهنّ على سبيل القرض ثم تزوجنّ على ذلك لم يكن به بأس. وإما أن يبين لهم أن ما أعطى أزواجهنّ لا يقوم مقام المهر وإنه لا بد من إصداق. وبه احتج أبو حنيفة على أن أحد الزوجين إذا خرج من دار الحرب مسلماً أو بذمة وبقي الآخر حربياً وقعت الفرقة. ولا يرى العدة على المهاجرة وببيع نكاحها إلا أن تكون حاملاً. ﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾ والعصمة ما يعتصم به من عقد وسبب يعني: إياكم وإياهنّ ولا تكن بينكم وبينهنّ عصمة ولا علقه زوجية. قال ابن عباس: من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدّن بها من نسائه لأن اختلاف الدارين قطع عصمتها منه. وعن النخعي: هي المسلمة تلحق بدار الحرب فكفر. وعن مجاهد: أمرهم بطلاق الباقيات مع الكفار معارفتهن. ﴿ولسئلوها ما أنفقتم﴾ من مهور أزواجكم اللاحقات بالكفار ﴿وليسئلوها ما أنفقوا﴾ من مهور نساتهم المهاجرات. وقرئ: ولا تمسكوا بالتخفيف، ولا تمسكوا بالتثقيب، ولا تمسكوا أي: ولا تتمسكوا ﴿نلكم حكم الله﴾ يعني: جميع ما نكر في هذه الآية ﴿يحكم بينكم﴾ كلام مستأنف أو حال من حكم الله على حذف الضمير أي: يحكمه الله أو جعل الحكم حاكماً على المبالغة. روي أنها لما نزلت هذه الآية أتى المؤمنون ما أمروا به من أداء مهور المهاجرات إلى أزواجهنّ المشركين، وأبى المشركون أن يؤدّوا شيئاً من مهور الكوافر إلى أزواجهنّ المسلمين. فنزل قوله:

﴿وان فاتكم﴾ وإن سبقكم وانفلت منكم ﴿شيء من أزواجكم﴾ أحد منهنّ إلى الكفار وهو في قراءة ابن مسعود أحد.

مؤمنات﴾ العلم الذي تبلغه طاعتكم وهو الظنّ الغالب بالحلف وظهور الامارات ﴿فلا ترجعوهنّ إلى الكفار﴾ فلا ترؤوهنّ إلى أزواجهنّ المشركين؛ لأنه لا حلّ بين المؤمنة والمشرقة<sup>(1)</sup>. ﴿واتوهنّ ما أنفقوا﴾ وأعطوا أزواجهنّ مثل ما دفعوا إليهنّ من المهور. وذلك أن صلح الحديبية كان على أن من أتاكم من أهل مكة ردّ إليهم ومن أتى منكم مكة لم يرد إليكم وكتبوا بذلك كتاباً وختموه. فجاءت سبيعة بنت الحرث الأسلمية مسلمة والنبي ﷺ بالحديبية. فأقبل زوجها مسافر المخزومي. قيل: صيفي بن الراهب فقال: يا محمد اردد عليّ امرأتى فإنك قد شرطت لنا أن ترد علينا من أتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف فنزلت بياناً، لأن الشرط إنما كان في الرجال دون النساء<sup>(2)</sup>. وعن الضحّاك: كان بين رسول الله ﷺ وبين المشركين عهد أن لا تأتيك منا امرأة ليست على دينك إلا رددتها إلينا، فإن نخلت في دينك ولها زوج أن تردّ على زوجها الذي أنفق عليها. وللنبي ﷺ من الشرط مثل ذلك<sup>(3)</sup>. وعن قتادة. ثم نسخ هذا الحكم وهذا العهد براءة فاستحلفها رسول الله ﷺ فحلفت فاعطى زوجها ما أنفق وتزوجها عمر<sup>(4)</sup>.

فإن قلّت: كيف سمى الظنّ علماً في قوله: ﴿فإن علمتموهنّ﴾! قلّت: إيداناً بان الظنّ الغالب وما يقضى إليه الاجتهاد والقياس جار مجرى العلم وأن صاحبه غير داخل في قوله: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾<sup>(5)</sup>.

فإن قلّت: فما فائدة قوله: ﴿الله أعلم بإيمانهنّ﴾ وذلك معلوم لا شبهة فيه؟ قلّت: فأنثته بيان أن لا سبيل لكم إلى ما تطمئن به النفس ويثلج به الصدر من الإحاطة بحقيقة إيمانهنّ فإن ذلك مما استأثر به علام الغيوب، وأن ما يؤدّي إليه الامتحان من العلم كافٍ في ذلك، وأن تكليفكم لا يعده، ثم نفى عنهم الجناح في تزويج هؤلاء المهاجرات إذا أتوهنّ

- (1) قال أحمد: هذه الآية مما استدل بها على خطاب الكفار بالفروع؛ لأنه تعالى قال: ﴿لا هنّ حلّ لهم﴾ والضمير الأوّل للمؤمنات، والثاني للكفار، والمراد به: يحرمن على الكفار؛ لأنّ قسيمة متفق على أنّ المراد به: تحريم الكفار على المؤمنات، فيكون كل من القبوليين المؤمنات والكفار مخاطباً بالحرمة، ولما كان المذهب المعزى إلى أصحاب أبي حنيفة أن الكفار غير مخاطبين، سلك الزمخشري بتفسير الآية ما يوافق ذلك، فحملها على أن المراد نفي الحل بين المؤمنة والكافر على الإجمال، حتى لا يتمحض نسبة الحرمة إلى الكافر وهذا لا متخلص فيه، فإنّ الحل المنفي بين المؤمنة والكافر إلى الحرمة لا بدّ وأن يتعلق بفعل أحدهما أو كليهما إذ هو حكم، فإن تعلق بفعل كل واحد منهما أعني التمكين من المرأة والفعل من الرجل، تحقق خطاب الكافر بالحرمة وتعليقه بفعل المرأة دون فعل الرجل ياباه نظم الآية، فإنه نفى الحل من الجهتين جميعاً، ولو كان كذلك لكفى قوله: ﴿ولا هم يحلون لهنّ﴾ والتحقيق الممتحن على قواعد الأصول هو ما نذكره إن شاء الله تعالى، فنقول: كل من فعلي المؤمنة والكافر ينفي عنه الحل بالتفسير اللائق، فإما فعل المؤمنة وهو التمكين فلا شك في تعلق الحرمة للشرع، باعتبار أنها مخاطبة بان لا يحصل في الوجود،
- (2) قال الزبيعي غريب نكره البغوي هكذا من غير سند 3/460.
- (3) قال الزبيعي غريب نكره البغوي هكذا من غير سند 3/460.
- (4) قال الزبيعي غريب نكره البغوي هكذا من غير سند 3/460.
- (5) سورة الإسراء، الآية: 36.

بين اليدين، وفرجها الذي تلده به بين الرجلين. ﴿وَلَا يَعْصِيكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ فيما تأمرهن به من المحسنات وتنهاهن عنه من المقبحات. وقيل: كل ما وافق طاعة الله فهو معروف.

فإن قُلْتَ: لو اقتصر على قوله: ولا يعصيك. فقد علم أن رسول الله ﷺ لا يأمر إلا بـمَعْرُوفٍ! قُلْتَ: نَبَهَ بذلك على أن طاعة المخلوق في معصية الخالق جديرة بغاية التوقي والاجتناب. وروي أن رسول الله ﷺ لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء وهو على الصفا وعمر بن الخطاب رضي الله عنه أسفل منه يبابيعن بأمره ويبلغهن عنه، وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متقنعةً متنكرةً خوفاً من رسول الله ﷺ أن يعرفها<sup>(2)</sup> فقال عليه الصلاة والسلام: «أبایعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً». فرفعت هند رأسها وقالت: والله لقد عبدنا الأصنام وإنك لتأخذ علينا أمراً ما رأيناك أخذت على الرجال. تبایع الرجال على الإسلام والجهاد. فقال عليه الصلاة والسلام: «ولا يسرقن». فقالت: إن أبا سفيان رجل شحيح وإنني أصبت من ماله هنات فما أري أنحل لي أم لا؟ فقال أبو سفيان: ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غير فهو لك حلال. فضحك رسول الله ﷺ وعرفها فقال لها: «وإنك لهند بنت عتبة». قالت: نعم، فأعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك. فقال: «ولا يزنين». فقالت: أو تزني الحرة. وفي رواية: ما زنت منهن امرأة فقال عليه الصلاة والسلام: «ولا يقتلن أولادهن». فقالت: ربيناهم صغاراً وقتلهم كباراً فانتم وهم أعلم. وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر. فضحك عمر حتى استلقى، وتبسم رسول الله ﷺ فقال: «ولا يأتين ببهتان». فقالت: والله إن البهتان لأمر قبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق. فقال: «ولا يعصينك في معروف». فقالت: والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء، وقيل: في كيفية المبايعة دعا بقدر من ماء فغمس فيه يده ثم غمسن أيديهن<sup>(3)</sup>، وقيل: صافحهن وكان على يده ثوب قطري<sup>(4)</sup>، وقيل: كان عمر يصافحهن عنه<sup>(5)</sup>. روي أن بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم<sup>(6)</sup>.

يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّوَلَوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُؤُوا مِنَ

فإن قُلْتَ: هل لإيقاع شيء في هذا الموقع فائدة؟ قُلْتَ: نعم الفائدة فيه أن لا يغازر شيء من هذا الجنس وإن قل وحقر غير معوض منه تغليظاً في هذا الحكم وتشديداً فيه ﴿فَعَاقِبْتُمْ﴾ من العقبة وهي التوبة، شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من أداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة، وأولئك مهور نساء هؤلاء أخرى بأمر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره ومعناه: فجاءت عقبتكم من أداء المهر فاتوا من فاتته امرأته إلى الكفار مثل مهرها من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر. وهكذا عن الزهري: يعطي من صدق من لحق بهم. وقرئ: فأعقبتم فعقبتم بالتشديد فعقبتم بالتخفيف بفتح القاف وكسرهما فمعنى أعقبتم نخلتم في العقبة، وعقبتم من عقبه إذا قفاه؛ لأن كل واحد من المتعاقبين يقفي صاحبه، وكذلك عقبتم بالتخفيف يقال: عقبه يعقبه وعقبتم نحو تبعتم وقال الزجاج: فعاقبتم فأصبتهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم والذي ذهب زوجته كان يعطي من الغنيمة المهر وفسر غيرها من القراءات فكانت العقبي لكم أي: فكانت الغلبة لكم حتى غنمتم. وقيل: جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين راجعة عن الإسلام ست نسوة: أم الحكم بنت أبي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري، وفاطمة بنت أبي أمية كانت تحت عمر بن الخطاب وهي أخت أم سلمة، وبرور بنت عقبة كانت تحت شماس ابن عثمان، وعبيدة بنت عبد العزى بن نضلة وزوجها عمرو بن عبس، وهند بنت أبي جهل كانت تحت هشام بن العاص، وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر. فأعطاهم رسول الله ﷺ مهور نسايتهم من الغنيمة<sup>(1)</sup>.

يَأْتِيَا النَّبِيَّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبِيِّنَنَّ عَلَيْكَ عَلَنَ أَنْ لَا يَشْرُكَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَنْرُقُوا وَلَا يَزِينُوا وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَكْفُرْنَ بِهَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ وَلَا يَمِينَنَّ فِي مَعْرُوفٍ فَإِيَهُنَّ وَأَسْتَفْرَزَ لهنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾

﴿ولا يقتلن أولادهن﴾ وقرئ: يقتلن بالتشديد يريد: وإد ابنتان ﴿ولا يأتين ببهتان يفتريهن بين أيديهن وأرجلهن﴾ كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها: هو ولدي منك كنى بالبهتان المفتري بين يديها ورجليها عن الولد الذي تلصقه بزوجها كذباً؛ لأن بطنها الذي تحمله فيه

(6) قال أحمد: قد كان الزمخشري نكر في قوله: ﴿وما يستوي البحران﴾ إلى قوله: ﴿ومن كل تاكلون لحمًا طرياً﴾ أن آخر الآية استطراد، وهو فن من فنون البيان ميوب عليه عند أهله، وآية الممتحنة هذه ممكنة أن تكون من هذا الفن جداً، فإنه ثم اليهود، واستطرد ذمهم بدم المشركين على نوع حسن من النسبة، وهذا لا يمكن أن يوجد للفصحاء في الاستطراد أحسن، ولا أمكن منه ومما صدروا هذا الفن به قوله: إذا ما اتقى الله الفتى وأطاعه. فليس به بس، وإن كان من جرم، وقوله: إن كنت كاتبة التي حنثتني فنجوت منجى الحرث بن هشام، وقوله:

ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ونجا برأس طمرة ولجام

(1) قال الزيلعي غريب نكره هكذا الثعلبي ثم البغوي عن ابن عباس - من غير سند ولا راو 461/3.  
(2) قال الزيلعي غريب بهذا اللفظ، وروى الطبري في تفسيره مختصراً 462/3.  
(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (365/6) ونكره الهيثمي في «جمع الزوائد» (38/6).  
(4) أبو داود في المراسيل باب: ما جاء في الفتي والإمارة (الحديث رقم: 373).  
(5) أخرجه ابن حبان في كتاب: الجنائن، باب: فضل حمل الجنانة، قولها (الحديث رقم: 3041)، وأبو يعلى (الحديث رقم: 226).

الْآخِرَةَ كَمَا يَسَى الْكُفَّارُ مِنْ أَحْسَبِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾.

ف قيل لهم: ﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا﴾ مغضوبًا عليهم ﴿يَسُوءُوا﴾ من أن يكون لهم حظ في الآخرة لعنادهم رسول الله ﷺ وهم يعلمون أنه الرسول المنعوت في التوراة ﴿كَمَا يَسُوءُ الْكُفَّارُ﴾ من موتاهم أن يبعثوا ويرجعوا أحياء. وقيل: ﴿مَنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ بيان للكفار أي: كما يسوء الكفار الذين قبروا من خير الآخرة لأنهم تبيينوا قبح حالهم وسوء منقلبهم. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعا يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### سورة الصف مكية

سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾  
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ ﴿٢﴾

﴿لِمَ﴾ هي لام الإضافة داخله على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك: بم وفيم ومم وعم وإلام وعلام. وإنما حذفت الألف لأن ما والحرف كشيء واحد ووقع استعمالهما كثيرا في كلام المستفهم. وقد جاء استعمال الأصل قليلا والوقف على زيادة هاء السكت أو الإسكان، ومن أسكن في الوصل فلإجرائه مجرى الوقف، كما سمع ثلاثة أربعة بالهاء وإلقاء حركة الهمزة عليها محذوفة. وهذا الكلام يتناول الكذب وإخلاف الموعد. وروي أن المؤمنين قالوا قبل أن يؤمروا القتال: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله تعالى لعملناه ولبئنا فيه أموالنا وأنفسنا. فلهم الله تعالى على الجهاد في سبيله، فولوا يوم أحد، فعيرهم، وقيل: لما أخبر الله بثواب شهداء بدر، قالوا: لئن لقينا قتالاً لنفرغن فيه وسعنا، ففروا يوم أحد ولم يفوا. وقيل: كان الرجل يقول: قتلتم ولم يقتل، وطعنت ولم يطعن، وضربت ولم يضرب، وصبرت، ولم يصبر، وقيل: كان قد أذى المسلمين رجل ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله

آخر. فقال عمر لصهيب: أخبر النبي عليه السلام<sup>(٢)</sup> أنك قتلته، فقال: إنما قتلته لله ولسوله، فقال عمر: يا رسول الله قتله صهيب، قال: «كذلك يا أبا يحيى» قال: نعم. فنزلت في المنتحل، وعن الحسن: نزلت في المنافقين ونداؤهم بالإيمان تهكم بهم وبإيمانهم هذا من أقصح كلام وأبلغه في معناه.

كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْمَلُونَ ﴿٣﴾.

قصد في ﴿كَبُرَ﴾ التعجب من غير لفظه كقوله: غلت ناب كليب بواؤها ومعنى: التعجب تعظيم الأمر<sup>(٣)</sup> في قلوب السامعين، لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله وأسند إلى أن تقولوا: ونصب ﴿مَقْتًا﴾ على تفسيره دلالة على أن قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه، واختير لفظ المقت لأنه أشد البغض وأبلغه ومنه قيل: نكاح المقت للعقد على الرابة ولم يقتصر على أن جعل البغض كبيرا حتى جعل أشده وأفحشه ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ أبلغ من ذلك لأنه إذا ثبت كبر مقته عند الله فقد تم كبره وشدته وانزاحت عنه الشكوك، وعن بعض السلف أنه قيل له: حدثنا، فسكت، ثم قيل له: حدثنا، فقال: تأمروني أن أقول ما لا أفعل.

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُبْتَغُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بَيْنَ مَرْصُومٍ ﴿٤﴾.

فاستعجل مقت الله في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ﴾ عقيب ذكر مقت المخلف<sup>(٤)</sup> دليل على أن المقت قد تعلق بقول الذين وعدوا الثبات في قتال الكفار فلم يفوا، وقرأ زيد بن علي: يقاتلون بفتح التاء. وقرئ: يقتلون ﴿صَفًا﴾ صافين أنفسهم أو مصفوفين ﴿كَانَهُمْ﴾ في تراصهم من غير فرجة ولا خلل. ﴿بَيْنَانٍ﴾ رص بعضهم إلى بعض مرصف، وقيل: يجوز أن يريد استواء نياتهم في الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة القتال راجلا لأن الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة، وقوله: صفاً كأنهم بنيان حالان متداخلتان<sup>(٥)</sup>.

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ ﴿١﴾  
أَيُّ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا

(1) الثعلبي ابن مردويه الواحدي في تفاسيرهم، زيلي 465/3.

(2) الثعلبي في تفسيره الزيلي 7/4.

(3) قال أحمد: وزائد على هذه الوجوه الأربعة وجه خامس، وهو تكراره لقوله: ﴿مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾ وهو لفظ واحد في كلام واحد، ومن فوائد التكرار التحويل والإعظام، وإلا فقد كان الكلام مستقلاً لو قيل: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ﴾ ذلك فما إعادته إلا لمكان هذه الفائدة الثانية، والله أعلم.

(4) قال أحمد: صدق الأوّل كاليسطة العامة لهذه القصة الخاصة، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُمُوا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ﴾ واتقوا الله إن الله سميع عليم، يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا =

= أصواتكم فوق صوت النبي، فالنهي العام ورد أولاً، والمقصود اندراج هذا الخاص فيه، كما تقول للمعترف جرماً معيناً: لا تفعل ما يلصق العار بك، ولا تشاتم زيدا، وفائدة مثل هذا النظم النهي عن الشيء الواحد مرتين، مندرجاً في العموم ومفرداً بالخصوص، وهو أولى من النهي عنه على الخصوص مرتين، فإن ذلك معبود في حين التكرار، وهذا يتكرر مع ما في التعميم من التعظيم والتحويل، والله أعلم.

(5) قال أحمد: يريد أن معنى الأولى مشتعل على معنى الثانية، لأن التراص هيئة للإصطفاف، والله أعلم.